الفصل الخامس عشر

أدلة إضافية قوية على عدم صحة ما استنتجه علماء الشيعة من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب

بعد أن عرضت في الفصل السابق أقوال علماء الشيعة في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، وبعد أن تمعنت في أدلتها وحججها، وبعد التأمل في سياقها من الآيات المتصلة بها: الآيات ٢٨ إلى ٣٤ من سورة الأحزاب، وصلت إلى أنه لا يوجد فيها ما يبين أن الله تعالى فرض الإيمان بالإمامة على خلقه، أو قضى بعصمة سيدنا علي وولديه الحسن والحسين وعصمة تسعة من أبناء الحسين رضي الله عنهم جميعا.

هذا هو جوهر موضوع الخلاف في هذا الكتاب وجوهر الخلاف بين السنة والشيعة، والآيات المشار إليها في سورة الأحزاب لا تؤيد موقف الشيعة وأطروحاتهم.

تتضمن الآيات الكريمة خطابا مباشر لنساء النبي ﷺ يأمرهن بمجموعة من الآداب، ويبين لهن أن المقصد من إلزامهن بما جاء في الآيات من آداب وأحكام وحثهن على التقيد بها، والهدف من دعوتهن

إلى طاعة الله ورسوله في سائر أمورهن، هو لإبعاد الخبث والسوء والأذى عنهن وقد نلنَ شرف الانتساب لبيت النبوة، وليكنّ مثال الطهر والعفة والأخلاق الكريمة.

وقوله تعالى في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبين لأزواج النبي ﷺ بوضوح ما ينتظرهن إن هن التزمن بما طلب منهمن من آداب وأحكام.

ما هي ثمرة السمو والترفع عن صغائر الأمور؟ ما ثمرة التقوى، والعمل الصالح، وعدم الخضوع بالقول لأحد حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وترك التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله؟ ما ثمرة هذا السلوك وإلى ماذا يؤدي؟ إنه يقود إلى نقاء البيت النبوي الكريم من الرجس، من كل لون من الخبث والسوء والأذى. ويقود إلى الطهارة بمعناها الجميل الشفاف، فيكون البيت النبوي مثال الطهر والعفة والأخلاق الكريمة، فضلاً من الله ووعداً وكرماً منه سبحانه.

هذا ما تنطق به الآيات الكريمة، وما فهمه منها الجيل الأول من المسلمين وأجيال أخرى من صدر الإسلام.

الإمام علي لم يحتج بالآية ٣٣ من سورة الأحزاب

ومن أقوى الأدلة على صحة هذا التفسير، وبطلان ما يقوله علماء الشيعة في هذا العصر عن أن ما جاء في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، يثبت صحة مبدأ الإمامة ويمثل دليلاً على عصمة أئمتهم الإثني عشر،

من أقوى الأدلة على ذلك أن سيدنا عليا ﷺ لم يحتج بهذه الآية في مسيرته العلمية والسياسية.

لم يحتج بها في كل الخطب والكتب والحكم المنسوبة إليه في كتاب "نهج البلاغة".

ولم يحتج بها بعد وفاة الرسول ﷺ لطلب السلطة.

ولم يحتج بها بعد وفاة سيدنا أبي بكر ﷺ لطلب السلطة.

ولم يحتج بها بعد وفاة سيدنا عمر ﷺ ليتم تقديمه وتفضيله على غيره من أهل الشورى الذين عينهم الفاروق قبل وفاته وأمر باختيار الخليفة منهم.

ثم لم يحتج بها بعد اغتيال سيدنا عثمان ﷺ. بل إنه اعتذر عن الولاية لما عرضها عليه الثوار وغيرهم، وقال لهم كما نقل عنه في "نهج البلاغة": "دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ماأعلم ولم أصغَ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أمير".

وهذا تصريح جليل واضح لا لبس فيه، ينفي أن الإمامة كانت اختيارا إلاهيا لسيدنا علي رضي الله عنه، أو أنها كانت وصية من الرسول ﷺ له بأمر إلاهي، وينقض ما يروجه أكثر علماء الشيعة من أن النبي ﷺ عقد بالولاية والإمامة لسيدنا علي ﷺ في غدير خم.

والخلاصة أن سيدنا عليا ﷺ لم يستدل بالآية ٣٣ من سورة الأحزاب، لا من قريب ولا من من بعيد.

الشيخ المفيد، شيخ الطائفة، لم يستدل

بالآية ٣٣ من سورة الأحزاب

ومما يؤكد صحة ما ذهبت إليه أيضا، أن الرجل الذي اشتهر لدى الشيعة الإثني عشرية بلقب شيخ الطائفة، الذي عاش في القرن الهجري الرابع، لم يستدل هو أيضا بهذه الآية لإثبات إمامة سيدنا علي ﷺ وعصمته.

شيخ الطائفة لدى الشيعة الإثني عشرية، الشيخ المفيد محمد ابن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله، العكبري، البغدادي، هو أيضا لم يستشهد بالآية ٣٣ من سورة الأحزاب، من قريب أو من بعيد، في كتابه "الإفصاح عن إمامة أمير المؤمنين"، وهو كتاب منشور في مركز الأبحاث العقائدية، لآية الله السيد السيستاني، ضمن قسم "تراث الشيعة العقائدي" في "المكتبة العقائدية".

الشيخ المفيد في التراث الشيعي رجل استثنائي لأنه تلقى رسالة من الإمام الغائب، الإمام الثاني عشر للشيعة الإثني عشرية. وموضوع كتابه "الإفصاح عن إمامة أمير المؤمنين" هو تقديم الأدلة الشرعية لإثبات صحة إمامة سيدنا علي ﷺ وإبطال إمامة غيره.

لذلك نقول: لو كان الناس في القرن الرابع الهجري، عصر الشيخ

المفيد، يفهمون من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ما يقوله علماء الشيعة المعاصرون لكانت في مقدمة الأدلة الواردة في الكتاب.

لكن الآية لا تظهر في كتاب الشيخ المفيد، ولا يرد ذكر لها بالتلميح أو التصريح.

رابط فهرس الكتاب في موقع مركز الأبحاث العقائدية في شبكة الإنترنت هو:

http://aqaed.info/?p=shialib&g=8&n=56&u=3606

إن عدم تطرق الإمام علي ﷺ ثم الشيخ المفيد من بعده، للآية ٣٣ من سورة الأحزاب للاستدلال بها لإثبات نظرية الإمامة أو عصمة الأئمة يدل على أن من يحاول تأويلها من العلماء الشيعة المعاصرين في هذا الاتجاه مخطئون مجانبون للصواب.

هذه ألطف عبارة تقال في حقهم ونكتفي بها.

ويمكن القول فيهم أيضا: أنهم ملكيون أكثر من الملك!! هم يحتجون بها لإثبات إمامة سيدنا علي ﷺ وإثبات عصمته، والإمام علي لا يحتج بها!!

ومن الأمور المهمة الأخرى عند النظر إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب، معرفة سبب نزولها، فإنه هو أيضا يبطل ما ذهب إليه كثير من علماء الشيعة من الاستدلال بها للدفاع عن الإمامة والعصمة.

وسنتحدث عن هذا الموضوع في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.